﴿سورة البينة﴾

وفيها أربع مسائل :

المسألة الأولى : ما المراد بقوله تعالى:﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ الْبَيِّنَةُ (١)﴾؟ وما البينة المذكورة فى الآية ؟

والجواب: أى لم يزل الذين كفروا من أهل الكتاب أى من اليهود والنصارى والمشركين من سائر أصناف الأمم متمسكين بغيهم وضلالهم ولا يزيدهم مرور السنين إلا كفرًا، حتى تأتيهم البينة وهى الدليل الواضح والبرهان القاطع من عند الله ﷻ ، فما هذه البينة ؟ أوضحها الله ﷻ بقوله: **﴿الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)﴾** فالبينة التى أقام الله ﷻ بها الحجة على كل الأمم السابقة هى إرساله لرسوله ونبيه محمد ﷺ وإنزاله عليه القرآن الكريم ليتلوه على الناس فيرشدهم به إلى الصراط المستقيم

المسألة الثانية: لِمَ تفرق الذين أوتوا الكتاب بعدما جاءتهم البينة ؟

والجواب: هذا انتقاد من الله ﷻلهم وفضح لخبث نفوسهم، فالأصل عند أصحاب الفطرة السليمة أن يتوحدوا وتتآلف قلوبهم ويهتدوا بعقولهم للطريق المستقيم، خاصة بعدما جاءتهم البينة الواضحة، يقول العلامة السعدى – رحمه الله – : (ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم، لم يزدهم الهدى إلا ضلالاً ولا البصيرة إلا عمى) [1].

وهذا درس لنا فى اتباع الحق خاصة مع ظهور علاماته ووضوح أماراته ...نسأل الله ﷻ أن يثبتنا عليه .

المسألة الثالثة: لم وصفت الآية الذين كفروا بأنهم ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ(٦)﴾ ؟

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٩٣١ .

والجواب: ﴿**الْبَرِيَّةِ**﴾ قرأها نافع (البريئة) بالهمز، وقرأ الباقون بغير همز، وهو من برأ الله الخلق أى خلقهم وأوجدهم، والسؤال: لم كان الذين كفروا هم شر الخلق على الإطلاق؟ والجواب: لأنهم عرفوا الحق وخالفوه وجاءتهم الآيات البينات الواضحات فأعرضوا عنها، فكانت لهم عقول ما استفادوا بها وأبصار ما رأوا بها نور اللهﷻ، قال الفخر الرازى – رحمه الله – معقباً على هذه الآية: (واعلم أن شر البرية جملة يطول تفصيلها،شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد ﷺ، وشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق، وشر من الجهال الأجلاف لأن الكبر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح، واعلم أن هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد) [١] .

المسألة الرابعة: نفهم أن الله ﷻ قد رضى عن المؤمنين، فكيف نفهم رضى المؤمنين عن الله تعالى ؟

والجواب: الأصل فى الرضا أنها المحبة وانعدام السخط، قال أبو هلال العسكرى فى الفرق بين الرضا والمحبة: (قيل: هما نظيران، وإنما يظهر الفرق بضديهما، فالمحبة ضدها البغض، والرضا: ضده السخط)[٢]، قال الفخر الرازى: (وأصل الرضا أنّه ضدّ الغضب، فهو المحبّة وأثرها من الإكرام والإحسان، فرضي الله مستعمل في إكرامه وإحسانه مثل محبّته في قوله :﴿**يحبّهم**﴾، ورضي الخلق عن الله هو محبّته وحصول ما أمَّلوه منه بحيث لا يبقى في نفوسهم متطلّع، وعلى هذا فإن رضا الله تعالى عن العبد إنما يكون فى الآخرة، ورضا العبد عن الله تعالى إنما يكون فى الآخرة بما يراه العبد) [٣]. وعلى هذا فإن رضا العبد عن الله ﷻ يأتى من رضاه بما يجرى عليه من أحكام الله ﷻ فى الدنيا، قال ابن عجيبة:

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٢/٤٨.
(٢) الفروق اللغوية ١/٢٥٧
(٣) مفاتيح الغيب ٤/ ٤٢٨

(﴿**وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ حيث رضوا بأحكامه القهرية والتكليفية) [١]، (قال محمد بن حقيق: "الرضا ينقسم إلى قسمين: رضاً به ورضاً عنه ، فالرضا به ربّاً ومدبّراً، والرضا عنه فيما يقضي ويقدّر) [٢]، فلما رضوا بأقداره جاءهم من ثوابه ونعمائه ما استراحت به قلوبهم واطمأنت به ضمائرهم فرضوا عن الله ﷻ بما نالوه من نِعَمِه الدنيوية ومِنَنِه الأخروية، (حيث بلغوا من الأماني قاصيها، وملكوا من المآرب ناصيتها، وأُتيح لهم ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) [٣]، قال السهمى: (إذا كنت لا ترضى عن اللّه، فكيف تسأله الرضا عنك ؟)[٤]، وفى قوله ﷻ: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ زاد هذا التعبير حُسناً ما وقع فيه من المشاكلة اللفظية .

---

(١) البحر المديد ٢/ ٣٢٦
(٢) الكشف والبيان ٢٦٢/١٠
(٣) البحر المديد ٨/ ٥١٢
(٤) الكشف والبيان ٢٦٢/١٠